

الكتاب التذكاري لعادل خوري*

قراءة جورج كنوره

«أنتم جميعاً إخوة»، العنوان الذي اختاره الناشر، أو الناشران للكتاب التذكاري الذي نشر بمناسبة بلوغ البروفسور الأب عادل تيودور خوري الستين من عمره. والعنوان ليس اختياراً ليناسب من حمل صفة كهنوتية بقدر ما هو تأكيد على خيار من اتخذ الأخوة شعاراً وممارسة. يشهد على ذلك أمران، مقالاته ودراساته المتعددة التي تحمل عنواناً يتكرر باطراد: الحوار التحاور وعدم القبول بوجود خصومات أو أعداء. والانتقال المباشر إلى حقل الآخر مجالاً للدراسة والتقريب. فيختار الكاهن اللاهوتي الإسلام مجال دراسة وتفهم وترجمة وتواصل، بحيث تصل الأفكار من يجب أن تصلهم من منبعها وعبر رافد متخصص وأصيل.

والأمر الآخر اتخاذ الحوار وسيلةً تبلغ معه حد الحرفة، إن صح القول، من خلال رعايته لمعهد خاص بذلك يخرج من إطار التحاور بالاجتماعات بين أطراف مختلفة وأحياناً متصارعة، حيث النتيجة مصالحات، وتبويس لحى (على الطريقة اللبنانية) إلى الحوار على الورق، حيث النتيجة تواصلٌ بين ذات وآخر، وحيث يتم التبادل بين الذات والآخر لتأمين نوع من التفاهم. فالتكامل والتوحد حتى لو ظلت هذه الغاية أملاً ترعاه فكرة الواحد المتعالي الذي يرضى كل الموحدين.

Ludwig Hagemann, Ernst Pulsfort (Hg.): Ihr alle aber seid Brüder. Festschrift für A. Th. (*) Khoury zum 60. Geburtstag. Würzburger Forschungen zur Missions-Und Religions-Wissenschaft. Oros Verlag, Altenberge. 1990. 640p.

في كتاب كهذا تتجاوز صفحاته الستائة صفحة، ويحوي حوالي الثلاثين مقالة موزعة على محاور عشرة، تصعب القراءة ويصعب التلخيص. ومع ذلك ستكون مطالعتنا محاولة تعطي القارئ لمحة عن معظم المقالات الموضوعية بالألمانية.

«أنتم جميعاً إخوة» مقالة كارل كارتلجي Karl Kertelge، أستاذ اللاهوت في جامعة مينستر. يختار صاحب المقالة عبارة لا ترد إلا في إنجيل متى موضوعاً لتأمل، وهي تأتي في سياق حوار ينتقد فيه المسيح تعاليم الكتبة والفريسيين ويعظ فيها تلاميذه بقوله: «وأما أنتم فلا تدعوني رابي فإن معلمكم واحد وأنتم جميعكم إخوة». والمقولة التي تعالج هذه الفقرة هي مسألة سلطة الكتبة والفريسيين باعتبارهم من العرافين أو العلماء. ويرأي اللاهوتي صاحب الدراسة تأتي هذه العبارات لتضع العلم بيد المعلم الوحيد - المسيح وبيد أبيه الذي في السماء. أما معنى الدعوة للأخوة فهي تعني الدعوة الأولى لإنشاء كنيسة. والأخوة التي تجمعهم تعني الانتقال من سلطة الأعلى إلى سلطة العمل، أي العمل الرعائي الذي يقومون به. فالمؤمنون يصبحون إخوة بفعل إيمانهم بالمسيح معلمهم وبفعل وعيهم لانتمائهم إلى جماعة. كما يلاحظ أن هذه الفكرة كانت واردة أيضاً لدى المسيحيين الأول ودليله على ذلك مخطوطات البحر الميت. كما تشير أيضاً إلى نوع من السلوك أو من الأخلاقيات التي يجب أن تتوفر في الجماعة فلا أحد يعلو فيها ما دامت تعمل بكلمة المعلم. ومن هنا يخلص المؤلف إلى القول بأن المكان الذي تجد هذه الجماعة مجال عملها فيه هو الكنيسة. وبذلك تتخذ هذه العبارة «إنكم جميعاً إخوة» بعدها الاجتماعي. ومن هذا التوسع يخلص المؤلف إلى ما يتعدى النص ليؤسس عليه أن الأخوة لا تعني التواصل مع جماعة أهل الكنيسة أو لنقل أهل المعتقد الواحد، بل هي أخلاق بها يتم التواصل مع الوثنيين على ما جاء في أقوال أحد آباء الكنيسة، فكم بالأحرى مع سواهم. وبالتالي تصبح الدعوة إلى الأخوة دعوة إلى الحوار. وبلغة أخرى تجهد المقالة لإثبات سند لاهوتي قوي للحوار. للحوار داخل الكنائس والحوار مع خارجها. ولا سيما مع الأديان الأخرى، ومنها الإسلام.

تخلص المقالة الثانية وهي لـ بيتر أنتس Peter Antes، أستاذ مقارنة الأديان في جامعة هانوفر، وهي بعنوان، اللاهوت كمعيق للحوار مع علامة استفهام، بما يفيد التساؤل - إلى نتيجة مماثلة تطرح الاستفهام وتوحي بإيجاد مبرر لاهوتي لمقومات الحوار المسيحي، والمسيحي الإسلامي، وبل المسيحي اليهودي. وهي تلاحظ شكلاً من أشكال الهوية في النظرة اللاهوتية إلى الأمور. إذ يقتصر علم الكلام، أي اللاهوت الإسلامي على تقديم نظرة متعالية عن الله. أي إنه علم يبحث في الله لذاته. في الوقت الذي تحول فيه اللاهوت المسيحي إلى أنثربولوجيا، أي إلى علم لصالح الإنسان. هذا ما يؤكد اللاهوتيون المعاصرون. وهذا ما يبرز عن تقديم معنى التجسد في الدين المسيحي. إلا أن المعنى الذي يعم ذلك كله هو ربط هذه الأسرار بالحب الذي يتجلى بعملية التجسد، وبإزالة الوحي على الأنبياء منعاً لأية ضلالة. من هنا يختم الباحث مقالته باعتماد نوع من اللاهوت جديد وهو يسميه باللاهوت الإبراهيمي التوحيدي وقوامه اعتماد نظرة عن الله تقدمه بوصفه الخالق والقاضي العادل. والله الخالق يعني الرجوع إلى الأصل الأول للوجود وبعث فكرة جديدة لا تجعل من الله مالك العالم بقدر ما تجعل الإنسان المستفيد من هذه الملكية. والله العادل، وإليه يجب تقديم الحساب يعني إعطاء معنى لوجود الإنسان ولتصرفاته. مما يعني أيضاً تطوير سلوكية أخلاقية إنسانية توضع قواعدها بوحي ما نجده في القرآن والعهدين.

أما هانس فالدينفالس (Hans Waldenfels) أستاذ اللاهوت في جامعة بون فقد تناول وجه العلاقة بين اللاهوت والعلوم الدينية. الملاحظة لها ما يبررها في إطار التدريس الأكاديمي في الجامعات الألمانية، حيث للعلوم الدينية ولمقارنة الأديان أقسام خاصة لا علاقة لها باللاهوت الذي يدرس بشقيه الكاثوليكي والبروتستانتي في معاهد مستقلة. أما الدراسة فهي محاولة للخروج من القول باعتبار اللاهوت جزءاً من الإرث الغربي - (المسيحي حصراً) وجعله جزءاً من الثقافة الإنسانية. وبالمقارنة مع المنحى الأكاديمي في بلدان متعددة لاسيما في الجامعات الأميركية، حيث ينظر إلى الدين من زاوية قوته الاجتماعية الفاعلة يقترح الباحث جعل الأديان مادة دراسة اجتماعية من داخل معاهد اللاهوت المتخصصة والتي لها في ألمانيا تاريخها الطويل. وإذا كانت المعاهد الألمانية

قد أوجدت فروعاً متخصصة تطال الديانات تاريخاً وبنية وتفسيراً فالمطلوب من هذه المعاهد أن تتعامل الآن مع الأديان في واقعها الحي وبذلك يفتح المجال أمام حوار من نوع جديد الحوار البناء.

وتراعي مقالة كلامنس ريشتر، حول القداس الإلهي عناصر التواصل المسيحي اليهودي وفي إطار الحوار بين الأديان بتتبع بعض الطقوس والممارسات التي انتقلت إلى المسيحية من اليهودية لا سيما ما يحتفل به في القداس الإلهي باعتبار ذلك قمة الاحتفال الديني في المسيحية. مما يجعل الليترجي موضوع تحاور بين الديانتين. هذا بغض النظر عن النظرة إلى الليترجيا اليهودية وما إذا كان لها من وجود باعتبار انتهاء بعض التقاليد مع هدم الهيكل. مع مراعاة استمرارية بعض المقدسات (طريقة الصلاة، التفسير، القراءة... إلخ) في المعابد.

أما الليترجي بالمفهوم الأول للكلمة وبالمعنى اليوناني للكلمة فهي علاقة بين الله وخلق، حوار بين الجماعة والإله والمبادرة كانت دائماً للإله الذي يدعو شعبه فيستجيب. وفي المسيحية ظل الأمر إلى حد ما كذلك، إذ يعتبر القداس الإلهي استجابة لهذه الغاية وبدليل ما يتلى وبدليل التسلسل الكهنوتي والعلاقة مع جماعة المؤمنين. واعتبار أن الله موجود دائماً مع مؤمنيه. ومما يشهد أيضاً على التقارب الليترجي المسيحي - اليهودي استخدام نصوص من العهد القديم في صلوات مسيحية أو نسج صلوات جديدة مشابهة لما كان (أو ما زال) يتلى في المعابد، مما يفتح المجال واسعاً للحوار وللمصالحة على ما يريد الكاتب إنهاء مقالته به.

أما الأب فارنر فانزورا العامل في أسقفية مدينة كولن فقد اختار البحث في سبل الحوار المفتوحة بين المسيحيين والمسلمين انطلاقاً من توسع معنى الكلمة اللاهوتية التي تشير إلى أبعاد التحوار بين المسيحيين (Ökumene)، حيث يوسع مدلولها ليطال ما أنزل الله من تعاليم وقوانين وقواعد، أي بما يطال ما يرد عند غير المسيحيين أيضاً. وفي موضوعتنا الإسلام هو المعني. وهذا ما جاءت بعض المجامع الكنسية لتؤكد عليه معنى وضرورة. إذ أصبحت الدراسات اللاهوتية

وحتى العلمانية المسيحية أكثر قبولاً للدين الإسلامي كدين توحيدي. وقد تم تجذير ذلك في المعاهد الاستشرافية، سواء التي تأخذ الدين الإسلامي مادة كاملة أو حتى تلك التي تعنى بالكنيسة المسيحية حصراً. وقد أكدت المجمع الكنسية على هذا الاعتراف وأصبح جزءاً من بعض بنودها المعلنة؛ وذلك باعتباره بادرةً للحوار والتلاقي والتواصل. تتعزز هذه الممارسات في إطار التسامح المتبادل الذي تظهره الجماعات الدينية التي تشكل أكترية في السكان تجاه الجماعات الأقل عدداً. ولذلك لا يستغرب وجود كنائس في بلدان أغلب، بل كل سكانها من المسلمين.

أما في أوروبا، فثمة مواطن يختلف فيها الأمر بوجود عدد كبير من المهاجرين (ألمانيا والأترك مثلاً، أو فرنسا والمهاجرون من شمال إفريقيا). والمقالة تبحث بعد ذلك في التنظيمات التي أقامها الأترك في ألمانيا وهي أحزاب، أو فروع لأحزاب نشأت في بعض مدن ألمانيا الكبرى والتي تتابع من هناك أوضاعها السياسية في الداخل مما لا يجعلها مؤهلة لإقامة حوار مع الساحة التي تقيم فيها. لا ينفي ذلك وجود بعض الحركات والمحاولات التي سعت للحوار. إلا أن المؤلف يرى أن الأجيال اللاحقة، أجيال الأولاد والأحفاد ستكون ربما، أكثر قدرة على فهم متطلبات مثل هذا الحوار.

أما س. باليش، فقد تطرق إلى موجبات الدرس الديني مطبقاً ذلك على المعاهد أو المدارس في ألمانيا منطلقاً من فلسفة هذا الدرس كما وضعتها البرامج أو المناهج المعلنة. إلا أن دراسته قد اقتصرت على إبراز بعض الأمور، منها تمسك الإسلام بالنص، والأمور التي أثّرت حول إعلان مبدأ حقوق الإنسان وما تبعه من إعلانات إسلامية موازية. إلا أنه خرج بنتيجة إيجابية، إذ قدر الاهتمام المتزايد بجعل قضية التعليم الديني قضية تهم الإنسان، أي بنقل الجدل حول ماهية الارتباط بالنص أو بالسلف إلى الاهتمام بالإنسان بما لديه من مشاغل آنية وطارئة أو ما قد يستجد منها.

وفي إطار مماثل يقدم يوهانس ليرمان وصفاً لواقع الدرس الديني في ألمانيا، حيث تزايد عدد التلاميذ المسلمين بفعل تزايد عدد العمال من بلدان شتى (تركيا،

دول البلقان والدول العربية أو الإسلامية الأخرى). كما يقدم توصيفاً لما يجب أن يستخلص من الدرس الديني مضيفاً الإرشادات التي يجب أن لا تتناقض والأسس التي تبنى عليها القوانين الألمانية من حيث احترام الإنسان نشأة ووضعية وانتماء. علماً أن التركيز قد تم على ما جرى إعداده في منطقة معينة من ألمانيا، وهي منطقة شمال الراين - فستفاليا. وقد جاء في التوصيات اللازمة لإنجاح الدرس الديني أن تكون الإرشادات المطلوبة متلازمة مع روحية التشريع الألماني ومنسجمة مع روحية النص وعلى أن تكون أيضاً حية من حيث إعطاء الدرس بحيوية تتطابق مع ذهنية الطالب وتوجهاته ومشاكله. وأن تركز على النقاط المشتركة بين الإسلام والمسيحية كقاعدة للحوار وكمسلمة له لا يمكن تجاوزها.

أما ارهارد ماير، فقد اختار المقارنة بين بودا والمسيح مركزاً على مفهوم الحرية عند كليهما. منطلقاً أساساً من دراسة تناولت حياة وشخصية السيد المسيح (دراسة ر. غوارديني الصادرة عام 1983 في فريبورغ). ومقاربة مفهوم الحرية يدخل هنا ضمن مقارنة الأديان وهي تعالج من ضمن مفاهيم الديانتين وبخاصة من ضمن مفهوم الحب، الحب الإلهي وإرادة الخلاص أو خياره ومفاهيم أخرى كالتوحد والألوهية، مع الإشارة إلى هامش الحرية المتبقي مع هذه العواطف أو هذه التوجهات.

تعالج مقالة أرنست بولسفورت مفهوم الغورو (المعلم) في الهندوسية وتحديداً في أحد فروعها بالمقارنة مع مفهوم المعلم في التعاليم المسيحية والكنسية انطلاقاً من مفهوم الخلاص الذي تتضمنه الديانتان. وإذا كان المعلم يلعب دور المرشد أو الحكيم أو إذا كان رمز الألوهة فهو في أحد فروع الهندوسية (السيفانية) الإله نفسه، الذي يتمظهر في المعلم. وجه الشبه واضح هنا مع التجسد في المسيح الإله حسب تعاليم الكنيسة. فالإله سيفا والمسيح المعلم يتمظهرهما إنما يكشفان الإله أو هما وسيطان للإله، وسيطان بما يحملان من نعمة الإله. وبما أقاما من مراسيم (سر العمداد، العلاقة بين المعلم والتلميذ وعلاقة المسيح بالرسول... إلخ). تتجلى هذه العلاقة الأخيرة (المسيح/الرسول) في إنجيل يوحنا، حيث تبدو النزعة الصوفية التي

تذهب إلى حد التوحد بين المعلم والتلميذ وعبرهما بالإله الواحد. هذا مع الإشارة إلى أن التعاليم الكنسية ما زالت تجعل عبر أسرارها ووصاياها المسيح حياً في مؤمنيه. وهذا ما يجعل الانتماء إلى الكنيسة تجربة وجودية جماعية إلى حد ما. هذا التشابه مع ضرورة وجود المعلم في الهندوسية لا يعني على الإطلاق التماثل أو التطابق. يبقى أن البحث عن الخلاص كان هناك كما هناك الدافع إلى هذا التعليم وإطاره.

في باب آخر يتناول عدد من البحاثة الاتجاهات والتطورات في الإسلام فثمة معالجات للفهم الشيعي من خلال بعض التفسيرات وبالتركيز على مفهوم الإمام، وترجمة وتفسير مير أحمد علي الذي يستند إلى أبحاث متعددة وإلى أقوال وكتب شعبية متعددة.

أما أنجليكا هارتمان، فقد تتبعته فرضية مفادها تسرب بعض الأفكار الإسماعيلية إلى علم الكلام السني. تعزز هذا الزعم بفعل اتهامات وجهت إلى الشهرستاني الشافعي المذهب والأشعري الاتجاه. تجلّى ذلك بنظر بعض الدارسين، ومنهم مادلونغ، بفضل استخدام الشهرستاني لمفردات، أو لمصطلحات سائدة في المدارس الإسماعيلية أو الشيعية عموماً أو في الفلسفات التي أخذت بنفس أفلوطيني إلى حد ما (ابن سينا على سبيل المثال). إلا أن المؤلفة أوضحت أيضاً تغلغل هذه المصطلحات في الفكر الصوفي ودخولها التفاسير المتعددة لاسيما ما يتعلق بالخلق. ثم تنتهي المؤلفة إلى رأي يحاول تبرير الأخذ ببعض المبادئ غير السنية، أولاً لعدم تشكيلها خطراً يهدد السياسة العباسية السنية السائدة أولاً ثم رغبة بعض المؤلفين، وقد يكون الشهرستاني منهم بتوحيد مختلف الاتجاهات الفكرية، ربما إسهاماً في التوحيد السياسي، أو انسجاماً مع النزعة التوفيقية فيما نرى.

واختار الأستاذ رثيف جورج خوري لمساهمته في هذا الكتاب التذكاري موضوعاً أكثر حداثة، إذ بحث في أعمال سليمان البستاني مترجم الإلياذة، منقياً عن رأيه بمفهوم الحرية والعلاقة بالدستور عند نهاية الدولة العثمانية، أي الحقبة التي شهدت تقلبات دستورية وسياسية صعبة. والكتاب موضوع الدراسة

هو كتاب البستاني، «عبرة وذكرى، أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده» إلا أن الأستاذ خوري قد استغرق مقالته في توصيف الأبواب التي تناولت مسألة الحرية على أنواعها الشخصية، حرية الصحافة، حرية التأليف، حرية إنشاء الجمعيات والكتابة وحرية رجال الدولة... إلخ. كما أشار إلى العلاقة بين الدستور ورجال الدين وتحديد أمور الحكومة ثم انتهى بعد التوصيف إلى إبداء آرائه فأشار إلى حسن اطلاع البستاني على الوسط المثقف في تركيا وعلى الثقافة الأجنبية بقدر ما كان ذلك متاحاً للبنانيين، ولا سيما المسيحيين منهم. ولم ينس المؤلف الإشارة إلى أن المطالبة بالحرية بأشكالها المختلفة قد كان بوعي من روح الثورة الفرنسية وأثراً من آثار حملة بونابرت على مصر، الأمر الذي يجعله أحد الكتاب الذين ينتمون إلى دائرة إنسانية واسعة تؤمن بالمساواة واتساع الآفاق ورحابة الفكر. مع ما كان لهذه الآراء من محاذير سياسية.

وحول موضوع الأقلية العلوية في تركيا يكتب بيتر هاينه بعنوان «الإسلام والسياسة والهوية» لمحة تاريخية عن وجود العلويين وظهورهم كقوة دينية وسياسية أواسط القرن السادس عشر وارتباطهم بفئات أخرى كالأكراد والبيكتاشية والطوائف الأخرى كعلي إلهي. كما تشير الدراسة إلى بعض الممارسات الخاصة بهذه الطائفة من طقوس في الزواج ومن إباحات في بعض الفرائض والقوانين، ومن ممارسات مثل الموقف من الخلفاء الأوائل. كذلك يؤمن العلويون بوجود علي منذ الأزل ويتسلمه القوانين التي تتيح له الإجابة على مسائل تتعلق بالدين وبالحياة وبالأخرة مما يعني الإيمان بقداسته إن لم يكن بتأله. كذلك أشارت الدراسة إلى أخذهم ببعض الطقوس عن المسيحية، كالاقرار مثلاً. ثم تلقي الدراسة أضواء على وضعية هذه الطائفة بعد الحرب العالمية وإعلان الدستور العلماني وإنهاء الخلافة، والشروع بتحديث البلاد. وما حققت من تجميع لثرائها وأغانيتها ومأثوراتها وما تعرضت له من وجوب التزامها بنزعة التتريك التي سادت. وما تعرضت له أيضاً من اتهامات بالتقرب من الشيوعية أكثر من سواها من الفئات وذلك بفعل انتماء بعض مثقفها إلى الحزب الشيوعي، الأمر الذي جعلها عرضة للاضطهاد. كذلك أظهر العلويون انتماءهم إلى الجماعات التركمانية كسبيل لتأكيد هويتهم

مما دعا الكمالين إلى رفض هذا الانتماء وجرهم أكثر فأكثر باتجاه المذهب السني السائد وقد تفجر ذلك بخلافات دينية بلغت ذروتها أواخر السبعينات .

أما لودفيغ هاغمان، فقد اختار البحث في الأصولية الإسلامية منطلقاً من الأحداث التي وقعت عام 1987 إبان موسم الحج إلى مكة، حيث قام الحجاج الإيرانيون بتظاهرات قمعت بشدة. ويقدم المؤلف عرضاً سريعاً لتطور الإسلام وتكوينه لمجتمع تقوم فيه الأمة على اندماج الديني بالمدني ومتوقفاً عند العودة إلى السلفية التي أوجدت بعض الدول الحديثة كالسعودية وليبيا وباكستان والسودان. وإلى قيام عدد ممن يعرف بالمصلحين أو المجددين. وإن قدر للثورة الإيرانية النجاح فلارتباطها بأفكار متعددة منها الأفكار الخلاصية - (المهدوية) وتقديم الاستشهاد وسيلة للخلاص الفردي وإقامة نظام اجتماعي عادل أو لخدمته. فالإمام الحسين الذي قاوم الدولة الأموية واستشهد في كربلاء قد تحول إلى مثل ونموذج في الثورة على الظلم. وبعده أصبحت الشهادة طريقة للخلود ولكسب نعيم الجنة، أي أنها أصبحت طريقة لإنجاح الثورة.

ويعالج الفصل الخامس الإرث المشترك بين اليهودية والمسيحية، فيعالج ديتير فيتر، أستاذ العهد القديم واللغة العبرية في المعهد اللاهوتي الإنجيلي لجامعة بوخوم الشكل الروائي في قصة تضحية إبراهيم بإبنه إسحق من حيث التركيز على صيغة تراتب الأفعال ومدى عكس ذلك للصلة بين الله وإبراهيم، وتالياً بين فعل الأمر والطاعة التي تعكس إيمان إبراهيم. وفي مقالة مشتركة يعالج كل من روبرت فنينغ وإريش زينجر مسألة الموت والدفن في التوراة وذلك من زاوية أركيولوجية ودينية. الملاحظة الأولى تتعلق بالطريقة البدائية بدفن الموتى في الأرض، حيث يبرز مفهوم العودة إلى الأرض الأم، مع تسجيل بعض المعانيات الأخرى كاتجاه رأس المدفون تجاه الشرق (عادة مصرية) ومراعاة الدفن بين الأشجار، إذ تمثل الأشجار قوة الأرض الأم. ومع مراعاة أخرى تتعلق بالقيامة، أو بالخلود (كدفن بعض الأغراض الشخصية مع الميت). هذا ما تسجله الدراسة عن مدافن المرحلة الأولى (العصر البرونزي).

وفيما بعد تسجل الدراسة وجود مقابر محفورة في أرض صخرية مع محتويات أكثر إتقاناً وبخاصة عند ميسوري الحال. ويلاحظ هنا انتقال المقابر من الأودية إلى السفوح وتحول المقابر إلى مقابر عائلية، وبعد القرن التاسع والثامن قبل الميلاد يلاحظ وجود رؤوس تماثيل وكتابات تسجل اسم الميت وصفته. ويلاحظ أيضاً اتساع القبر واحتواؤه على أغراض متعددة. وفي المراحل اللاحقة يلاحظ كذلك تأثر أشكال الدفن بمؤثرات خارجية فارسية أو رومانية وهلنستية إن من حيث شغل القبر أو جدرانه أو أرضيته أو حتى وضعيته داخل المدفن.

ويمتاز بحث كارل لونينغ الباحث في علم تفسير العهد الجديد بعودة إلى أعمال الرسل باحثاً فيها عن نشأة الكنيسة الأولى من خلال العلاقة باليهودية والوثنية آنذاك. فهل كانت الجماعة الأولى، أو الكنيسة الأولى انفصالاً عن اليهودية أو تكميلاً لها. والبحث بذلك بحثاً عن هوية المسيحية انطلاقاً من كنيستها الأولى، أي من تمظهرها الأول. وقد اختار الباحث المقطع الذي يتحدث عن العنصرة، أي عن اللحظة التي تجمع فيها الرسل وحلّ عليهم الروح القدس ليشرعوا بعدها بالتبشير في أرجاء المعمورة. يعتبر الباحث هذا حدثاً يوحى بظهور الرسل أصحاب رسالة، أو توجه جديد تجاه الشعب، أي أنهم قد شكلوا جماعة أخرى مغايرة، أو مختلفة عن جماعة اليهود مما يوحى ببعث هوية جديدة صار عليها أن تعلن عن نفسها بالرغم من فشل التبشير في الوسط اليهودي. وقد عزا لوقا ذلك إلى اليهود أنفسهم لا إلى تقصير الرسل. وإلى التغير الذي حاول الرسل إدخاله على عمل الهيكل الذي يجب اعتباره بعد الآن مكاناً للتعليم والصلاة لا للتضحية. وإلى ذلك يضيف المؤلف رؤية لوقا لحسن انتشار المسيحية وذلك من خلال تصور يجمع بين ثقافة اليهود والرؤية الهلنستية، أي من خلال الجمع بين ثقافة دينية سائدة وبين رؤية فلسفية للعالم. يمكن أن يضاف هنا أن عدداً آخر من الرسل قد وعى هذه المشكلة وسعى لحلها مع الإشارة إلى تميز بعضهم بثقافة فلسفية إغريقية أتاحت له هذا الانفتاح (يوحنا مثلاً).

ويتناول الباب السادس من هذا المؤلف الضخم مسألة اللاهوت والكنيسة بين الماضي والحاضر. وهنا يستعيد ونفريد كرامر بداية البحث عن هوية الكنيسة من خلال الجدل الذي أثير باكراً عبر تناقض الحقيقة مع العادة.

أساس هذا الجدل ما جاء على لسان المسيح في نقل من إنجيل يوحنا: «أنا الطريق والحق والحياة». وقد أشار آباء الكنيسة الأول إلى ذلك عبر تجسد الحقيقة بشخص المسيح. مما يعني أن الحقيقة هنا لم تكن تعني بعث نظرية في المعرفة تقوم على استخدام العقل والنظر والتفكير بقدر ما تقوم على تقبل المسيح بوحية وتعاليمه على أنه الحقيقة، أو الحق بلغة أكثر دقة. وبلغة أخرى يعني ذلك تأكيد الخلاف مع اليهودية، الوسط الذي وجد فيه المسيح وفيه عاش وفيه بشر إحياء بإعطاء شيء جديد، بدليل ناسخ لمعطيات أو لمجريات الأمور (العادة). هذا ما عاينه الإنجيليون الأول وما أكدوا عليه وكان ذلك يعني تأكيداً على هوية جديدة وعلى مناحي جديدة.

ويعالج فرنر فولبرت مسألة الحرية الدينية بالمقارنة أولاً مع مبدأ حقوق الإنسان وتالياً داخل الموقع الديني بالذات، أي من خلال علاقة هذه الحرية بالخطيئة. أما المبدأ الثالث الذي تعالجه هذه المقالة فهو يتناول الحرية الدينية في حال وجود أكثر من جماعة دينية في دولة واحدة مركزاً على عدم الوقوع في الخطأ ومميزاً بين أبناء الديانات ومن هم على الوثنية. وفي إطار العلاقة مع الإسلام يطرح المقال من مبدأ الحوار بعض الأفكار التي تقول بفصل الدين عن الدولة وجعل الحرية أساس التعامل والهدوء واحترام القناعات الدينية عند الآخرين.

بعد ذلك يبحث غرهارد ساوتر في ما يسميه باللاهوت الذي يقترن بموقعه، سواء كان هذا الموقع تاريخياً كأن نبحت في لاهوت لوثر بحسب موقع آرائه في النص وفي حقبة تاريخية معينة أو بحسب موقعه من محيطه، أي بترابطه مع هذا المحيط حينما يربط اللاهوت بالروابط الاقتصادية والاجتماعية. فلا يعود اللاهوت بذلك موضع تأمل وتحليل، بل يصبح مهمة فكرية منتجة كما يصبح له وظيفة تقوم على تحرير الإنسان. فالخلاص الإلهي لا ينفصل عن الخلاص الإنساني. إن

اللاهوت هو بهذا المعنى فعل تحرر. ولا يفهم إلا بهذه العلاقة العضوية مع الجماعة مع الناس مع ما لهم من حياة ثقافية اجتماعية سياسية. وبعبارة واحدة حياة إنسانية، أي حياتهم كبشر مع بعضهم بعضاً.

ما هو دور الكنيسة في عالم اليوم، حيث تسود مفاهيم التعددية، هذا ما يطرحه أندرياس بشته Bsteh في مداخلته متجاوزاً القول بوجود التوحد حيث توجد الحقيقة. وقد أشار المؤلف إلى المجموع المقدسة التي راعت باستمرار الحفاظ على الوحدة وسط التنوع بأشكاله المختلفة ثقافياً وحتى دينياً.

وكذلك يعالج بيتر هنيرمان مسألة قريبة تتناول أسس التعليم الديني المسيحي مركزاً على الأبعاد اللاهوتية والفلسفية، إذ لا بد من إيجاد أسس للإيمان بالإله الواحد. والفلسفة تعتبر واحداً من هذه الروافد، إذ تؤكد على التوحيد حتى لو كان ذلك من اعتبارات منطقية أو انطولوجية. المبدأ الواحد. المبدأ الأول. المبدأ الأخير... إلخ (الفلسفة اليونانية، ديكارت، ليبنتز)، أو حتى لو كان إثبات هذا المبدأ مجرد فرضية (هيدغر).

بعض الأفكار عن الملائكة، يوردها هيربرت فورغليمر في مقالته مشيراً أولاً إلى القاموس الهائل الذي ما زال يدخل الملائكة في كل شيء. كما يشير إلى المعتقدات الشعبية وإلى المتوارثات حول خلق الملائكة وأجسادهم وأرواحهم، وإلى استعادة توما الاكوينى لأفكار المدرسة الرشدية حول الجواهر المفارقة (والملائكة منهم). أما الجدل اللاهوتي اللاحق. فقد دار حول خلق الملائكة مما دفع للقول: «إذا كان للملائكة من وجود فإن الله قد خلقهم». وحول وظيفتهم ظل الاعتبار الأكثر شيوعاً، هو التوسط بين الله والمخلوقات. ومن التصورات الأخرى تسوق الدراسة أن الملائكة وبحسب مختلف التصورات قد يكونون على صورة البشر، أو إنها ذات وجوه ميتولوجية، أو هي ذوات خلقها الله لتظهر كلمته أو لتلعب دوراً في خلاص بني الإنسان. وإذا لم يكن من مجال لفهم الملائكة أو لتصورهم فثمة مجال لفهم وظيفتهم أو للتحدث عن عالم خاص هو عالم الملائكة القابل للتدخل حتى في الأحلام كما نعلم من العهدين القديم والجديد. أما أسماء الملائكة فمنها المعروف وهو قليل. أما

عديدها فلا حصر له، خاصة إذا أعدنا إلى الأذهان فكرة الملاك الحارس التي ترافق كل إنسان.

في القيم ومفهوم سلم القيم يعالج برونو شيللر تطور هذا المفهوم من زاوية فلسفية وإنتربولوجية آخذاً نقطة انطلاق من فلسفة نيتشه إلا أنه لا يتوقف عندها، بل يستعرض ما جاء حول الموضوع عند كل من الاكويني وأرسطو وكانط وأ. ب. بش (O. P. Pesch) مركزاً على معنى التحديد الصرف وعلى ربط التحديد بالعمل وبالفطرة.

أما لودفيغ موث، فقد اختار موضوعاً يتسم بالطرافة، إذ تناول العلاقة بين الكنيسة والثقافة المقروءة بعد الألف الثالث، أي مع بداية القرن المقبل، حيث يفترض أن تكون الأمية قد زالت من الوجود، وحيث ستمتع الشعوب بثقافة مكتوبة. الإشارة الأولى تنطلق من خيار اعتماد النص «المكتوب» مادةً للتبشير. وقد أورد العهد القديم ذلك (كلمة قرأ أو مشتقاتها ترد 32 مرة). كذلك تناقش المقالة إمكانية معرفة المسيح القراءة. بكل الأحوال تظل الرسالة المكتوبة، أو الأثر المكتوب مادة تأمل وكأنها ترسي علاقة شخصية لا مجرد بلاغ، كما في المادة التي تعتمد الخطاب أداة توصيل.

في مقالة طويلة تتطرق إيريس ميللر العاملة في كلية اللاهوت الكاثوليكي في جامعة مينستر إلى التفسير الأنثوي لللاهوت في العهد القديم. تشير أولاً إلى فتح أبواب المعاهد اللاهوتية أمام النساء لدراسة هذا النوع منذ الاختصاص. وقد تواتر ذلك منذ الستينات لكن بعد المرور بالعديد من الصعوبات إن فيما يتعلق بمسألة الدراسة أو قبولها أو بمسألة نشر دراسات لعالمات لاهوت في ألمانيا كما في الولايات المتحدة. في بحثها لأدبيات العهد القديم تثبت الباحثة وجود تصور قديم للإله الأنثى. ومن الدراسات اللغوية تنطلق بعض الدراسات لتقول إن الإله يهوه كان في الأساس إلهاً أنثى ورمزه القمر. وهذا ما نجده عند بعض الشعوب السامية والاسم القديم له كان (إياهو). خلاصة القول الإقرار بوجود مجتمعات أمومية قبل المجتمعات الأبوية مما أتاح القبول بتصور من هذا القبيل. عن التحول إلى مجتمع أبوي وإلى إله ذكر تشير الباحثة إلى دراسات

تؤكد التحول في مرحلة تحول الشعب الكنعاني إلى مجتمع إقطاعي. فالنصوص الأوغاريتية تؤكد على الطابع الأمومي للمجتمع وتالياً على ألوهة النساء. وربما أمكن تحديد زمن التحول إلى الإله الذكر مع التحول إلى التوحيد الكامل وتالياً إلى الديانات السماوية. أما الأدلة الأخرى فستستقيها الباحثة من الأساطير والخرافات ومن المكتشفات الأثرية، لا سيما في أوغاريت التي برزت للوجود صدفة عام 1929 وبعدها توالى الدراسات عنها. والأبرز هنا دراسة غردا فايلر التي تؤكد وجود «ربة واحدة هي بمثابة إلهة كل الإلهات». علماً أن ثمة دراسات لاحقة قد قللت من هذه الأهمية. إلا أن ذلك لا يلغي القيمة الدينية لمجتمع كانت الحياة فيه تقوم على مبدأ الأمومة.

في فصل سابع نجد دراسات تناولت مقارنة الأديان ومنها دراسة أولى عن دلالة الماء في التوراة والقرآن. والباحث هو جورج غيرشاك الذي استعرض ما جاء حول الماء في التوراة وفي العهد الجديد، وأخيراً في القرآن مشيراً إلى وظيفته إن في الإحياء أو في الحروب أو في استخدامه كسلاح في يد الجيوش كما في يد الأنبياء، بل والآلهة. (الطوفان - عبور موسى البحر واستخدام البحار). بعض الأمور تبدو مشتركة كالاستخدام في النظافة أو الطهارة. كما نجد بعض الإشارات الرمزية لاستخدام المياه. (بيلاطس وغسل يديه تبرئاً من دم المسيح). كما نجد آيات في القرآن حول تسخير المياه لخدمة الإنسان...

أما وليم ج. هوي، فقد تناول موضوع حوريات الجنة في القرآن وفي التصورات الأخروية عند القديس توما الاكويني. المقالة تعاند الرأي السائد عن عدم وجود اهتمام بالحياة الحسية، وحياة اللذة في الآخرة عند المسيحيين، بحيث تبدو الصورة مقتصرة على رؤية الإسلام للحياة في الآخرة. التأكيد الأول نجده في الحديث عن الأكل في الآخرة والحجة الأولى يجدها اللاهوت في عبرة تناول المسيح الطعام بعد القيامة. أما الاكويني وباطّلاعه على بعض ما يرد في الإسلام من اعتبار لحياة حسية في الآخرة، فقد انطلق من رفض قاطع لهذا النمط من الحياة لعدم الحاجة لها، ولعدم تقديرها في تحديد السعادة. صحيح أن الاكويني قد قدر مدى السعادة بتحقيق حاجة الجسم أيضاً

(لذة الأكل، لذة الجنس) إلا أن تساؤله الأول قد طاول الحاجة الفعلية لمثل هذه اللذات في تحقيق السعادة بغض النظر عما إذا كانت موجودة فعلاً (في الآخرة) أم لا. قد تكون من الأمور التي تؤدي إلى كمال معين دون أن تكون بالضرورة سبباً للكمال. ثمة في النصوص عند الاكوييني ما يشير إلى القول بأن الجسد سيتحول روحاً في الحشر، لكونه روحاً بل لعلاقته بالروح.

ثمة أجزاء أخرى في هذا المؤلف الضخم تلقي أضواء على الديانات في آسيا وفي إفريقيا. مقالة عن التأمل في البوذية القديمة. الباحث يراجع التعبيرات المستخدمة حول تقنية التأمل من خلال النصوص القديمة وفي لغتها أو لغاتها القديمة الصينية والسنسكريتية ولغة أهل التبت. مع التأكيد على وجود طبقات متعددة في التأمل الذي يتوازى فيه الألم مع الفرح.

أما روديفر شوت، فقد عُني في بحثه الغني بالإبراز من خلال حوادث فردية حدود العلاقة بين القانون (الوضعي) والدين في إفريقيا مركزاً على حالات عينية عاينها الباحث في إقامات له متعددة في أوساط قبلية في بوركينا فاسو وفي شمال غانا. والحالات التي يعرضها (خيانة زوجية مثلاً) وما يعرض لها من أحكام وضعية أو دينية يعارضها ويقارنها الباحث بالممارسات القبلية التي تدخل فيها الأعراف والتقاليد والعقائد وبعضها بدائي يدخل فيه السحر والأحكام السحرية.

أخيراً، ومن الفلسفة الغربية نجد مقالتي عالجت الأولى انطلاقاً من نشيد زيوس، الموضوع أصلاً باليونانية (القرن الخامس الميلادي على الأرجح) وجهاً من وجوه العلاقة بين الأدب والفلسفة وذلك من خلال نقل الأدب لأفكار فلسفية، تتناول مفاهيم الكلمة والعقل والموجود والكون والوجود... إلخ. في حين تناولت المقالة الأخيرة إسهام شلينغ في قيام فلسفة طبيعية. وهي لأستاذ الفلسفة في كلية اللاهوت الكاثوليكي في جامعة مينستر، الجامعة الأكثر إسهاماً على ما يبدو في هذا المؤلف الضخم.

تنطلق فلسفة شلينغ الطبيعية من عدم الاعتراف بوجود فارق (طبيعي) بين ما هو حي وما هو غير حي. فالحياة سيرورة وما هو غير حي هو كذلك لوضع

يعتريه نقص ما. حتى أن القول بوجود نفس كلية يعتبر بالنسبة إليه فرضيةً تثبت وجود فيزياء عليا. هذا بغض النظر عن مصدر هذه الأفكار من أفلوطين أو بركليس. أما ما يريده شلينغ فهو إظهار نوع من التراتب يربط بشكل منهجي بين أقسام الموجود، أو بشكل آخر إيجاد نظام منهجي يشكل حلقة الوصل المفقودة هذه، أو نقطة العبور اللازمة. في فقرة أخرى يعالج الباحث التأثيرات المحتملة لفلسفة شلينغ على الفلسفات المادية، لا سيما الماركسية ويرى أنه ربما كان القول بالتحول الكمي إلى تحول نوعي أثراً من آثار فلسفة شلنغ. ما تثيره الدراسة وإن كان معظمه بصيغة الاحتمال يظل مهماً من أجل إظهار مدى الترابط في الفلسفة الألمانية التي لا مجال لقياس جذورها أو جذوعها أو قممها.

قد لا يكون لهذه المراجعة خلاصة وأنا اعتمدت تقديم العدد الأكبر من المداخلات، بتبسيط كما يخيّل إلي بعد انتهاء هذه المراجعة حتى لا أقول باختصار. إلا أن الأهم هنا كان متعة القراءة. متعة قراءة كتاب جامع لمحاوّر متعددة ظل الدين رابطها. الدين هنا ليس ديانة بعينها بقدر ما هو رسالة جامعة بين أمم وشعوب خلقهم الله ليتعارفوا. وبهذه الذهنية أظن أن الكتاب قد وضع. فالخيطة الجامع فيه حوار عميق يمتد من حواربي المسيح إلى حوار الحركات الدينية الأصولية، إلى حوار الفلسفة مع الدين وإلى تجاوز الأديان في أقصى المشرق، بحيث خُيّل إلي أن ثمة فكرة وضعت وجاء الكتاب بتنوعه ليغنيها فيزيدها عمقاً وتركيزاً وانطلاقاً. إذ لا يُعقَل أن تظلّ مثل هذه الكتابة أسيرة موقف دون أن لا يكون لها التأثير اللازم حتى لو لم يبد ذلك جلياً لوهلة أولى. فللحوار نتيجة متوقعة أو مأمولة. وهو هنا يبدأ متشعباً لكنه دائماً في إطار العلاقة المعروفة والمطلوبة. حوار مع الذات وحوار مع الآخر.